المحاضرة الرابعة

خصائص نظام العبادات في الإسلام

(الجانب الثاني من نظام العبادات)

لنظام العبادة في الإسلام خصائص تميزه ، ومن اهم تلك الخصائص هي :

١. **تنوع العبادة وامتزاجها بجميع جوانب الحياة** : نظام العبادة في الإسلام يسع الحياة كلها في كل ميادينها، فهو يشمل:

أ- ما بين الانسان وربه من حقوق.

ب- وما بين الانسان والناس من حقوق وعلاقات.

فكل ذلك داخل في نطاق العبادة ، ويدخل في مفهوم العبادة الفرائض والاركان الشعائرية في الاسلام ، كالشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، ويدخل ايضا كل ما صدر عن الانسان يبتغي به وجه الله ومرضاته من سلوك او تصرف او قول او تفكر او فعل او ترك فعل او نحو ذلك ، مما يغطي جوانب الحياة عند الانسان الظاهرة والباطنة ، فما يرضي الله عز وجل عبادة وما لا يرضيه يعد معصية .

أضف الى ذلك ما زاد على الفرائض من الوان التعبد التطوعية والفضائل الانسانية كالعدل وحسن المعاملة والصدق والاحسان وكذلك العبادات القلبية كالصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والرجاء لرحمته ...الخ .

بل ان العبادة في الاسلام قد تشمل اعمالا شخصية (خاصة) او اعمالا اجتماعية لم يكن يخطر ببال الناس ان يجعلها الدين عبادة لله تعالى يثاب الانسان عليها ، فكل عمل اجتماعي مباح او مندوب نافع يعده الاسلام عبادة بمجرد ان يبتغي (صاحبه) بذلك العمل وجه الله ورضوانه ، لا الرياء او التطلع الى ثناء الناس او اكتساب الجاه ، ولذلك فان جبر الخواطر ومسح دمعة المحزون والمساعدة في تفريج كربة المكروب وسد رمق المحروم ورفع الظلم عن المظلوم واعانة الارملة وكفالة اليتيم وتعليم الجاهل واصلاح ذات البين ...الخ ، كل ذلك يعد عبادة وقربة الى الله تعالى اذا قصد به صاحبه مخلصا وجه الله تعالى .

وقد جمع العلماء كل المعاني الداخلة في العبادة في هذه العبارة: (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة

والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله)، فالعبادة اسم جامع لكل ما يقوم به المسلم من عمل بشرط ان يكون خالصا لله تعالى ، قال تعالى : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً* وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً* إِنَّهَا ساءت مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً* وَالَّذِينَ إذا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً* وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهَا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً* إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً* وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً* وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بآيات رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزواجنا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً* أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسلاماً* خالدين فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً ومقاماً* قل مَا يَعْبأ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دعاؤكم فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} الفرقان (٦٣-٧٧) ، وهناك آيات متتالية في سياق آخر تذكر ميادين أخرى في الحياة تجعلها طاعة لله وعبادة ايضا ، ولنتأمل قوله تعالى {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ } [الشورى ٣٦-٣٩] .

بالنتيجة ، بامكان الانسان ان يتقلب في يومه وليلته من عبادة الى اخرى في كل تصرفاته مع نفسه ومجتمعه وربه ، ليكون من المتقين الذين يتقبل الله عز وجل اعمالهم وطاعاتهم وعباداتهم ، قال تعالى : (الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)) من سورة البقرة .

.

٢. **ارتكاز العبادة على الايمان بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) :** ان الذي يتقبل العبادة ويثيب عليها هو الله تعالى، فليس معقولاً ولا مقبولاً من انسان لا يؤمن بالله ثم يريد بعد ذلك ان يثاب على اعماله، وذلك هو التلازم بين الايمان وبين اعتبار الأفعال عبادة ، فليس مؤمناً من لا يعبد الله عز وجل ، وليس عابداً من لا يؤمن بالله.

ويشهد لصحة ذلك ما جاء في القرآن الكريم الذي يقرن بين الايمان والعمل الصالح ، ولا يذكر العمل منعزلا عن الايمان ، فقد قال تعالى: (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)، وقال ايضاً: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)، وغيرها من الآيات الكثير .

ومن السنة: فقد سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: قل لي في الإسلام قولاً لا اسال احداً بعدك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (قل : آمنت بالله ثم استقم)، وهو نظير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

بالنتيجة : فان الايمان بالله تعالى وحده هو شرط قبول العمل الصالح (العبادة) ، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)) سورة يونس ، وقال ايضا : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)) سورة الكهف .

المصادر:

١- النظم الاسلامية : د. منير حميد البياتي

٢- النظم الاسلامية : د. حسن حسين الحاج

٣- النظم الاسلامية : د. عبد العزيز الدوري

٤- النظم الاسلامية : د. صبحي الصالح